Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النصارى واتقاء شرهم حدًا مهينًا ، يدفع لهم الجزية ، ويأخذ رضى صاحب قشتالة فيما يفعل ، ويعينه بالجند والسلاح حين يقاتل غيره ، وفى سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٥٤ م صالح ملك قشتالة ، وعقد معه معاهدة سلم تنازل بمقتضاها عن عدد من المدن والحصون والقلاع ، من بينها جيان ، وشريش ، والقلعة ، والمدينة ، وغيرها .

فإذا تركنا الحرب والسياسة إلى الفكر والأدب والثقافة ، وجدنا الموحدين يقفون إلى جانبها ، ويشجعون عليها ، وإن اهتموا بالعلوم العملية والفلسفية بخاصة ، فازدهر الطب على أيامهم ، وأنشأوا المدارس الحربية ، وعرف الأندلس عددًا من علماء النبات ، وشهدت الفلسفة أوج عصرها ، أنه العصر الذى عاش فيه ابن باجة وابن طفيل وابن رشد ، ومن بين أروع ما حققوه فى هذا المجال وسبقوا إليه الدعوة إلى التزام المفكر بمنهج فكرى معين ، يصدر عنه فيما يقول ويعتقد ويدعو ، لا يحيد عنه مع الهوى ، ولا يميل به مع الريح ، فقد أخذ علماء الأندلس ، فيما يروى **بن خلصون** على الغزالى ، « أنه خلط النهاية بالبداية ، فصارت كتبه أقرب إلى التضليل منها إلى الهداية » ، ويزيد **ابن طفيل** الأمر تفصيلا فيقول : « وأما أبو حامد فإنه مضطرب التأليف ، يربط فى موضع ويحل فى آخر ، ويتمذهب بأشياء ويكفر بها »[٢] ، ويأخذ عليه **ابن رشد** أنه « لم يلتزم طريقة فى كتبه ، فنراه مع الأشعرية أشعريًا ، ومع المعتزلة معتزليا ، ومع الفلاسفة فيلسوفا ، ومع الصوفية صوفيًا ، حتى كأنى به :

يومًا يمانٍ إذا لاقيتَ ذا يمنٍ وإن لقيتَ معديًا فعدنان »[٣]

وبقى الأدب فى الذروة فنًا ، وإن أدى به الترف إلى الانحطاط فى بعض ما عالج من موضوعات ، وانهارت سلطة الفقهاء على أيام الموحدين ، ومنعوا جملة من التدخل فيما لا يعنيهم من شئون الدولة ، ثم أخرجوا من الأندلس[٤] ، غير أن الإسلام الأندلسى ،

---

(٢) فصل ابن طفيل اتهامه هذا ، ومن أراده كاملا فليرجع إلى : ابن الخطيب ، الإحاطة ، جـ ٣ ، ص ٦٥ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٤) لدراسة هذه القضايا تفصيلا يمكن العودة إلى : الدكتور حكمة على الأوسى ، الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين ، القاهرة ١٩٧٩ .